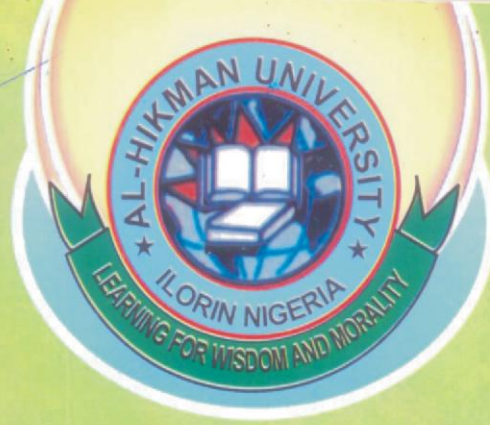




الجزء الأول

العدد الثالث

مجلة الأصالة الدولية

- تصدر عن -

قسمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية
في كلية العلوم الإنسانية

بجامعة الحكمة إيلورن نيجيريا

ذو القعدة ١٤٣٣ هـ

مجلة الأصالة الدولية

AL-ASAALAH INTERNATIONAL JOURNAL

حقوق الطبع محفوظة

ALL RIGHT RESERVED

No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system
transmitted in any form or by any means-electrical, mechanical, photocopy or otherwise
without prior permission.

ISSN: 2141-6885

© DEPARTMENT OF ARABIC & ISLAMIC STUDIES
COLLEGE OF THE HUMANITIES,
AL-HIKMAH UNIVERSITY, ILORIN, NIGERIA.

ذو القعدة ١٤٣٣ هـ

OCTOBER, 2012

Printed by:

Right Way Printing Enterprise
41B Opo-malu Road, Ilorin
08070801298, 08031163351

الأساليب التقليدية والتقنية الحديثة في صيانة المخطوطات

عبد الرشيد محمود مقدم

مسؤول العربي عن المخطوطات العربية باللجنة الوطنية للمتاحف والأثار، المتحف الوطني بالورني

قديم

تعتبر المخطوطات العربية من الكنوز الحساسة التي بالجدارة أن تكتسب نصيباً من العناية والاهتمام. لما في حضانها من القيم والمعارف والتراث الهائل، إلا أنها منيت بحالة العناية والاحتفاظ في مختلف مراكزها من المكتبات الحكومية والفردية، حتى تعتبر اللجنة لفودة قبل هذه الآونة الأخيرة التي تتسائر فيها تلك الصيحات التهاتفية على السباحة كإدبمية بانعقاد المؤتمرات والندوات التي تحمل محاورها موضوعات متنوعة فمن أهمية

مخطوطات:

للقالة تتمركز على هذه النقاط التالية:

- ماهية صيانة المخطوطة
- الصيانة بالأساليب التقليدية القديمة
- الصيانة وفق حرية المتخصصين Conservationists
- الصيانة بأساليب التقنية الحديثة
- الخاتمة

نجد لزاماً علينا - ونحن في فاتحة هذا الباب - أن نتعرف على ماهية صيانة المخطوطة لي أن يذهب بنا فيه الكلام أي مذهب لنستجيب بذلك أيولوجيا العلمية.

- ماهية صيانة المخطوطة

الصيانة تعني الحفظ والحماية والذود عن العرض. والمقصود بها هنا هو القيام بأوب بكل ما يضمن البقاء الشكلي والمضموني للمخطوطات مما قد تتعرض له من رضاع المفضية بما إلى التلف والفساد أو الضياع (مقدم، ٢٠١٠: ٤). أو بعبارة أخرى

هي مجموعة التقنيات والأساليب المستعملة لإيقاف حالة إتلاف أوراق المخطوطات التي هي أدوات عضوية (جائزة القذافي، ٥٠).

فبالرغم من الجهود المبذولة فإن أغلب المخطوطات قد تدهورت وعليها آثار تلف حقيقي كالماء والحشرات وسوء الصيانة التي كانت ضحية لها فأدت بها إلى زوال ألوانها وشحوبها فنجم عن ذلك كله عدم قراءة نصوصها (جائزة القذافي، ٥٠).

وقبل أن نتناول الحديث عن أساليب الصيانة نتعرف على مجموعة من أسباب التلف؛ إذ إن الكتاب العرب قد تضرعوا بالكتابة (عبدالرحمن أحمد: ١٣: ٢٠١٠) عما يؤدي بالمخطوطات إلى التلف والفساد وما تتفادى به ويصونها عن هذا المأزق والهلاك. وصنف المتخصصون أسباب هذا التلف والفساد في أربع عوامل منها: ما كانت طبيعية، وكيميائية، وبيولوجية، وذاتية (عبدالرحمن أحمد: ١٣: ٢٠١٠).

أ-العوامل الطبيعية

- الحرارة تشوه المخطوطة إذا كانت درجتها زائدة مرتفعة سواء كانت الحرارة الناجمة من توهج الشمس، أو الفلورست، أو اللمبات الكهربائية، أو التدفئة الزائدة لجو المكتبة أو الأماكن الخاضعة للمخطوطات؛ فهذه كلها تؤدي إلى جفاف في أوراقها فيحصل منه الانفكاك، نتيجة من لسع لفحة الحرارة للمخطوطات حيناً بعد آخر، كما تؤدي إلى انتشار الحموضة نتيجة التلوث الجوي بالغازات الحموضة.
- الرطوبة وهي أيضاً لها التأثير السلبي في المخطوطات عند ما تعرضت لها، وهي مصنوعة ورقها من إحدى هذه المواد: الورق، أو الجلد، أو البرد، وهذه المواد تصنف من ذوات خاصية هيجروسكوبية Hygroscopic Nature بمعنى أن محتواها المائي يعتريه التغير بتغير الرطوبة التي رشت على المخطوطات؛ فتمتص المادة العضوية الماء من الرطوبة، وتؤثر عليها وتورثها الفساد بانتشار الحموضة وغزو الحشرات والأحياء الدقيقة.
- الضوء وهو من العوامل الطبيعية التي تؤثر في المخطوطات تأثيراً سلبياً، وهو متفاوت في أنواعه بالقوة والموجة والمصدر حسب إفادة الفيزيائيين، فضاء الشمس الذي يعكس من

الخارج - عبر الشبائيك أو الثقوب الموجودة في السقف - إلى حيث رفوف المخطوطات أو دواليبها وأرأشيفها، كما كانت الحال - ماضيا - في مكتبة المتحف الوطني بجوس قبل أن يجري عليها الترميم في أعقاب السنة الماضية (عبدالرحمن أحمد: ١٣: ٢٠١٠).

ب- العوامل الكيميائية

ولقد تفضّل الخبراء Conservationist بإحصاء مجموعة كيميائية تشوّه حالة المخطوطات، وتخلق فيها فقدان القيمة واستخفاف القدر (عبدالرحمن أحمد: ١٣: ٢٠١٠)، كان من بين هذه المجموعة التلوث الهوائي والحموضة، وما كانت في خباياها من جراثيم الفطريات الهوائية، والرياح المكثفة المثيرة للرمال؛ وهي بكلّيتها تملّي على المخطوطات بالفساد الكيميائية، وتزيل عنها الرسوم والنقوش أو الكتابات التي تحملها المخطوطات.

ج- العوامل البيولوجية

هناك عدد من الكائنات الحية المرئية بمجرد العين كالأرضة والدود والفيضان، وما لا يرى بمجرد بنت العين إلا باستعانة الآلة المكبرة Microscope وهذه الكائنات الحية تتراوح عند التعداد نحو سبعين نوعا حسب تقدير المتخصصين لها؛ وهي بمجموعها لا تتسلل في المخطوطة إلا جعلت أعزقها أذلة (مقدم: ٦: ٢٠١٠).

د- العوامل الذاتية

وهذه الأخيرة هي مجموعة تلك التصرفات البشعة التي تصدر من سوء تعامل القائمين برعاية المخطوطات أو من سوء تدبير العاملين في حقلها، وهي تختلف باختلاف دورها وأشكالها، كالتخزين في رفوف مغبرة، أو تناولها بأصابع ملوثة بالقذرات أو الدهون، وما يشبه ذلك تلازم الأصابع خصوصا عند فراغ من تناول الطعام أو المشروبات بجوانب لأرأشيف والدواليب خزنت فيها المخطوطات، أو احتكاكها في الأماكن غير الضامنة لها بقاء، والإفراط والتفريط من استخدام مبيدات الحشرات، أو تقليب أوراقها تقليبا عفيفا، لفها وثبتها ملتوية لإعلام بموضع لسهولة الرجوع إليه (عبدالرحمن أحمد: ١٤: ٢٠١٠).

ومن جراء كل هذه التصرفات وغيرها مما تضفي بالمخطوطة في بوار الفساد والضياح أو ترمي بها في هوة الهلاك. انبثقت (مقدم: ٨: ٢٠١٠) فكرة الصيانة والحماية التي قد تضمن لها البقاء، وهذه الصيانة بعناصرها لها أساليب تقليدية قديمة باعتبار عهدها والأخرى حديثة حسب اكتشافات التكنولوجيا الحديثة في عصر العولمة والتطورات العلمية الحديثة.

ومن هنا قسم الباحثون الصيانة باعتبار عناصرها إلى ثلاثة أقسام: الصيانة بالأساليب التقليدية القديمة، والصيانة حسب خبرة المتخصصين، والصيانة بأساليب التقنية الحديثة.

٣- الصيانة بالأساليب التقليدية القديمة

ولقد تعرّفت المخطوطات على أيدي علمانا القدامى أساليب عديدة في صيانتها، اهتموا إليها بنور العقلية الصائبة أو مهدى تجارتهم الفذة في سبيل الحياة والعمران. وتعتبر هذه الأساليب بأنواعها كحجر زاوية يحتفظ بها تراثنا المخطوطي المائل حتى وصل إلينا في أيامنا الراهنة سليما في أركانه وصحيحا في أبدانه حتى لا نرى في معظمه آثار التلف والفساد مع تقادم العهود والأزمنة. كان من بين هذه الأساليب ما يأتي:

• التعليق على الحائط أو الجدران

وذلك بعد ما لفت أوراق المخطوطات بعضها على بعض وغلفت بالورقة الخشنة مربوطة بالحبل أو بعد إغمادها في الحقيبة الجلدية المدبوعة.

• الإذخار في صندوق حديدي

إنه كان القدماء يزودون صندوقا حديديا ويدّخرون فيه المخطوطة محتومة بالقفل؛ إلا أن هذا الأسلوب له تأثير سلبي في المخطوطة لأنه سرعان ما يؤديها إلى التلف والفساد وذلك إذا لم يولها صاحبها اهتماما لاتقا برعايتها وتقليبها حيناً بعد آخر؛ لأن الصدأ والغاز الذي ينتفسه الحديد قد يؤديها إلى التدمير (إبراهيم ديا: ٩: ٢٠١٠).

• التحقيق والنشر

فهذا الاصطلاح المعاصر الذي يقصد به بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة. فالكتاب المحقق هو الذي صحّ عنوانه. واسم مؤلفه. ونسبة الكتاب إليه، وكان منه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها المؤلف (عبدالعزيز ربيعة: ٢٣٥).

وعلى ذلك فإن الجهود التي تبذل في كل مخطوط يجب أن تتناول البحث في الزوايا التالية (عبدالعزيز ربيعة: ٢٣٥):

- تحقيق عنوان الكتاب.
- تحقيق اسم المؤلف.
- تحقيق نسبة الكتب إلى مؤلفه.
- تحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الإمكان مقاربا لنص مؤلفه.

ولقد اهتم العرب منذ ربع القرن الماضي باتخاذ طريقة التحقيق والنشر ضمن تلك الطرق القديمة التي تصان بها مخطوطاتهم، إلا أن المستشرقين سبقوهم بنحو مائة سنة أو أكثر في مثل هذا التحقيق (صلاح الدين المنجد: ٧: ١٩٧٠)، وأنهم أول من وضعوا قواعد وضوابط تحب مراعاتها في عملية التحقيق والنشر. ولقد طبقوا في نشرهم النصوص العربية تلك القواعد التي تتبع في أوروبا لنشر النصوص الكلاسيكية: اليونانية واللاتينية. وهي قواعد دقيقة تضمن الأمانة في إخراج النص، وتضمن أن يأتي النص المنشور كما وضع في أصله. وقد طبقت هذه القواعد في هذا القرن، في نشر النصوص العربية، جمعية المستشرقين الألمان DMG في نشرها الإسلامية Bibliotheca Islamica التي كان يشرف عليها المستشرق الكبير د. ريتز. وطبقتها جمعية غيوم بوده Association Guillaume Bude في فرنسا وتبعها من قبل جميع المستشرقين (٧: ١٩٧٠). ومن هنا أصبح لزوما على ناشري النصوص من العرب اتباع هذه الطريقة العلمية الدقيقة التي يتبعها المستشرقون في تحقيق النصوص على حد قول الدكتور صلاح الدين المنجد ما نصه: "وكان على ناشري النصوص العرب اتباع

الطريقة العلمية التي يتبعها المستشرقون، والاطلاع على قواعدهم واقتباسها، أو اقتباس الجيد منها. ولكن الذين فعلوا ذلك قلّة" (صلاح الدين المنجد: ٨: ١٩٧٠).

وعلى هذا الأساس، لقد تعرّفت الساحة المخطوطية في الصعيد العربي على مبادرات قيمة من الجمعيات الرسمية وغير الرسمية والأفراد في وضع قواعد التحقيق، وأول هذه المبادرات صدرت من النجم العلمي بدمشق كما أشار إليه بعض الباحثين:

... فأول من وضع نهجا من المؤسسات العلمية لتحقيق نص

قديم هو النجم العلمي العربي بدمشق. فعند ما أراد نشر "تاريخ

مدينة دمشق" وهو أوسع تاريخ كتب عن مدينة، تقع في ثمانين

مجلدة - جمع لجنة من العلماء لوضع قواعد عامة تتبع في تحقيق

مجلدات التاريخ... فوضعت اللجنة منهجا موجزا تذكر الخطوط

الكبرى للنشر. وقد جاء فيه " أن الغاية من تحقيق الكتاب هو تقديم

نص صحيح. لذلك يجب أن يعني باختلاف الروايات، وأن يثبت ما

صح منها. وأن يوجز في التعليق كيلا يثقل النص بتعليقات طوال.

وأن تضبط الأعلام، وتفسر الألفاظ الغامضة، ويصرف النظر عن

تخريج الأحاديث، وأن يسمح بوضوح النقطة والنقطتين، والفاصلة،

وإشارات الاستفهام والتعجب، لتوضيح النص. وأن تثبت الآيات

القرآنية بين قوسين مزدهرين، وأن ترقيم سطور النص (صلاح الدين

المنجد: ٩: ١٩٧٠).

وتلت هذه المبادرة مبادرة أخرى من اللجان الرسمية حاولت وضع نهج، كانت من

بين هذه اللجان اللجنة التي كلفت تحقيق كتاب "الشفاء" لابن سينا. ونفهم ذلك مما كتبه

الأستاذ الدكتور إبراهيم مذكور عن منهج النشر حيث قوله:

إن اللجنة سعت في جمع ما استطاعت العثور عليه من مخطوطات

الشفاء، وأنها آثرت في النشر طريقة "النص الذي" خيل إليها أنه

يفصح عن رأي المؤلف، ويؤدي عبارته أداء كاملاً" وأنها عيّنت

بذكر اختلاف الروايات، وترجيح ما بان للجنة فيه "استقامة المعنى

وسلامته وما ألف لدى ابن سينا من ألفاظ وتعبيرات، وما أيدته مؤلفات الأخرى" وأثبتت اللجنة في المواقف، مع اختلاف الروايات، شروحا لغوية، وذلك "كي لا يتقل النص وروايات بإضافات أخرى" واستعملت اللجنة علامات الترقيم، لأن من الضروري "النشر بروح العصر وعلى طريقته. وهناك أوجه التقارب بين نهج لجنة مجمع دمشق ونهج لجنة تحقيق "الشفاء" (مذكور: ٣٨-٤٢: ١٩٥٣).

ثم شمر الأفراد عن ساعد الجدة في هذا الميدان وكتبوا عن قواعد نشر النصوص فنجد أمثال الدكتور محمد مندور، والأستاذ عبد السلام هارون؛ اللذان يعتبران بوضعهما قواعد نشر النصوص وتحقيقها نجوما لامعة يستير بها الساري على محجة هذه العملية، فقد تحدث الأول بإيجاز عن قواعد نشر النصوص الكلاسيكية، في مقالين ظهرتا في مجلة الثقافة، نقد بهما كتاب قوانين الدواوين لابن ممي الذي نشره الدكتور عزيز سوريال عطية، وأفرد الثاني كتابا سماه "تحقيق النصوص ونشرها" ضمنه محاضرات ألقاها على طلبة دار العلوم بالقاهرة. فيها معارف كثيرة مختلفة. فقد تحدث عن "كيف وصلت إلينا الثقافة العربية". وعن "الورق والوراقين" وعن "الخطوط" كما تحدث عن أصول "النصوص" و"المكملات الحديثة" وغير ذلك مما يحتاج إليه المبتدئ في النشر (صلاح الدين المنجد: ١٠-١١: ١٩٧٠). إلا أنه أخذ عليه بعض الإخفاق الذي تعرض له فيما قدم إليه، ونجمله فيما قاله الدكتور المنجد:

أنه لم يطلع قط على ما كتب في هذا الموضوع باللغات الأجنبية ليكون كتابه تاما والنهج الذي يدعو إليه كاملا، وأنه خلط بين قواعد تحقيق النصوص، والعلوم المساعدة على التحقيق كعلم الخطوط، أو علم المصادر وغير ذلك. والمعروف أن هذين العلمين يدرسان دراسة طويلة على منهج علمي. ولا يمكن إيفاءهما حقهما بصفحات (صلاح الدين المنجد: ١١: ١٩٧٠).

غير أننا مع هذا النقد نرى أنه استحقّ الشاء والتقدير فيما تصدّى له من هذا الصنيع الجاذ الذي اعتبر فيه وغيره كأول الأفراد تصدروا لمثل هذا الجهد العظيم فصار بذلك رهن الإشارة والتنويه عند كل الباحثين والدارسين على السواء. ولعلّ رآب هذا الثأى هو الدافع الحقيقي في قيام الدكتور المنجد بوضع كتابه "قواعد تحقيق المخطوطات" الذي فيه يقول:

إن هذه القواعد التي تقدّمها غايتها توحيد طرق النشر، والتعريف به، وقد استقيناها من نهج المستشرقين الألمان، ومن خطة جمعية غيوم بوده، ومن قواعد المحدثين القدامى في ضبط الروايات، ومما نشر في هذا الموضوع من قبل. أفدنا من ذلك كله (صلاح الدين المنجد: ٨: ١٩٧٠)..... ولن نتحدّث هنا عن نشأة التدوين، أو علم الخطوط، أو علم المصادر، أو اصطلاحات الناسخين، أو مصطلح الحديث، وكل ذلك يساعد عرفانه على التحقيق. إذ المفروض فيمن يتصدّى لنشر المخطوطات أن يلمّ بذلك من قبل. وستنقصر كلامنا على القواعد العلمية التي تعين الخقق على تحقيق النص وإخراجه (صلاح الدين المنجد: ١١: ١٩٧٠).

ومن هذا المنطلق. تشجّدت همم بعض الباحثين والدارسين على الصعيد النيجري بتقديم خدمات جليلة في صيانة التراث بالتحقيق والنشر، فنجد من بين هؤلاء الشيخ "طنّ إغني" الصكفي الذي تفضّل بنشر بعض أعمال الجهاديين الفوديين (عبدالمملك أبو بكر: ٩: ٢٠١٠)، والأستاذ محمد صالح حسين بتحقيق وشرح وتقديم لكتاب الحصن الرصين في علم التصريف للعلامة السوداني الأستاذ عبد الله بن فودي (صلاح حسين: ١٩٨٢)، كما حقق الأستاذ الدكتور بالوغن تزيين الورقات للأستاذ عبدالله بن فودي (عبدالرحمن أحمد: ١٠: ٢٠١٠)، ولا نُضرب بذيّل النسيان - ونحن في هذا الصدد - عن ذكر فعالية الأدوار الذي قام بها الشيخ الإلوري لإحياء التراث التليد بتحقيق ونشر بعض المخطوطات التي تبنتها بنات أفكار بعض علماءنا القدامى النيجريين كفعلته المشهورة

بكتاب أخبار القرون في تاريخ أمراء إلورن للشيخ أحمد بن أبي بكر إكوكورو، ومنظومة مسماة بصرف العنان عن طريق النيران إلى طريق الجنان للشيخ محمد مودى الكشناوي، ومجموعة الوصايا والنصائح التي وجهها الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي للسلطان محمد رمفا بكنو (أغاكا: ٢٠١٠: ٥) و (مقدم: ٢٠١٠: ٢)، وغير ذلك من الأشعار والقصائد التي أجادت بها قرائح بعض العلماء النياجرة فتناولوها بالنشر والتحقيق في ثانيا مؤلفاته التي لولاها لضاعت عنا معظم هذا التراث، ولاختفت آثاره عن بنت عيوننا بعد العين.

إلا أن معظم هذه التحقيقات تعوزها الدقة بعدم اتباع ومراعاة تلك الضوابط أو القواعد الموضوعية في عملية التحقيق، كالبحت الجاذ أو الفحص البالغ عن نسخ أخرى إن وجدت للنص المحقق دون الاعتماد على نسخة واحدة تناولها المحقق مستغنيا عن النسخ الأخرى؛ لأنه إذا قام بالفحص الدقيق عن نسخ أخرى للعمل المحقق وحصل عليها يستطيع بدراستها أن يزن بين النصوص بعد أن قد تعرف على أقدمها كتابة؛ ولهذا يطالب بالانتباه على مجموعة هذه النقاط التالية في التعرف على أقدم النسخ:

• على فاحص المخطوطة أن يدرس ورقها ليتمكن من تحقيق عمرها، ولا يخدعه ما أثبت فيها من تواريخ قد تكون مزيفة. وما يجب التنبيه له أن ليست آثار العث والأرضة والبلى تدلّ دلالة قاطعة على قدم النسخة، فإننا نشاهد تلك الآثار في مخطوطات قد لا يتجاوز عمرها خمسين عاما، كما رأينا بعضا من المخطوطات الحديثة يزورها التجار بطريقة صناعية حتى يبدو ورقها قديما باليا.

• وأن يدرس المداد فيتضح له قرب عهده أو بعده.

• وكذلك الخط، فإن لكل عصر نمجا خاصا في الخط ونظام كتابته يستطيع الخبير الممارس أن يحكم في ذلك بخبرته.

• وأن يفحص أطراف الخط ونظامه في النسخة، فقد تكون النسخة ملفقة فيهبط ذلك بقيمتها أو يرفعها.

• وعنوان الكتاب وما يحمل صدره من إجازات وتعليكات وقراءات.

- كما أنه قد يجد في ثنايا النسخة ما يدل على قراءة بعض العلماء أو تعليقاتهم.
 - وأن ينظر إلى أبواب الكتاب وفصوله وأجزائه حتى يستوثق من كمال النسخة وصحة ترتيبها. وكثير من الكتب القديمة يلتزم نظام (التعقبة)، وهي الكلمة التي تكتب في أسفل الصفحة اليمنى غالبا لتدل على بدء الصفحة التي تليها، ويطلق عليها في اللغة المحلية "متاشي" فبتتبع هذه التعقيبات يمكن الاطمئنان إلى تسلسل الكتاب.
 - وأن ينظر في خاتمة الكتاب لعله يبين اسم الناسخ وتاريخ النسخ وتسلسل النسخة.
- هذه هي أهم الجوانب الجديرة بعناية الفاحص، وقد يجد أموراً أخرى، تعاونه على تقدير النسخة، فلكل مخطوط ظروف خاصة تستدعي دراسة خاصة (عبدالعزيز ربيعة: ٢٣٣-٢٣٤). بالإضافة إلى تلك القواعد التي لسا في الوسع بسردها على حدة بالتفصيل، وهي بالبيان المسهب في أماكنها وثنايا الكتب المؤلفة في تحقيق النصوص.

• فهرسة المخطوطات

إن من أهم الطرق التي تصان بها المخطوطات القيام بفهرستها، ويقصد بها إعداد القائمة التي فيها عشرات الأسماء من المخطوطات، يضع فيها المؤلف المعلومات الكاملة عن كل مخطوطة وتشمل هذه المعلومة: عنوان المخطوط، وموضوعه، ومؤلفه، وناسخه، وتاريخ نسخه، واخط المكتوب به وغير ذلك (عبدالرحمن أحمد: ٥: ٢٠١٠).

ولقد تقدّمت مجهودات كبيرة في حياة مخطوطات العرب أن شهدت لها فهارس قيمة، كان من أشهرها فهرس المكتبة الظاهرية بدمشق، وفهرس دار الكتب العلمية في القاهرة، وفهرس المكتبة الوطنية في بغداد، ثم مكتبة استنبول بأنقرة، وفهرس معهد المخطوطات العربية في القاهرة وغيرها من الفهارس العامة (عبدالرحمن أحمد: ٥: ٢٠١٠). ومما وضعها الأفراد من الفهارس "فهرست المخطوطات الأصلية في النحو والصرف واللغة والعروض" و "فهرست للمخطوطات اللغوية المصورة" وهاتان الفهرستان وضعهما الأستاذ الدكتور علي بن حسين البواب. و "فهرست تاريخ الأدب" (عبدالرحمن أحمد: ٥: ٢٠١٠) في خمسة مجلدات أعدها المستشرق الألماني كارل بروكلمان، وهو الذي أعده بعض الباحثين بأنه دليل منير

يهدي الباحث إلى أماكن وجود المخطوطات في العالم سواء المسروق منها إلى أوروبا أو الموجود في البلد العربي (عبدالرحمن أحمد: ٥: ٢٠١٠).
كما أن هناك عدّة من الكتب التي تعدّ من الفهارس كما أشار إليه الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام في مقاله:

وهناك كتب قديمة يمكن أن تعدّ من الفهارس لما تحتويه هذه الكتب من أسماء الكتب ومؤلفيها ك فهرست لابن نديم، ووفيات الاعيان لابن قتيبة، وفواته لابن خلكان، وأبناء الرواة للقفطي، وبغية الوعاة للسيوطي، وطبقات النحويين للزبيدي، ومؤلفات عبد الرحمن السيوطي في جميع الفنون، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة مع ذبوله هدية العارفين لاسماعيل باشا في ستة مجلدات (عبدالرحمن أحمد: ٥: ٢٠١٠).

ومن الجدير بالذكر أنه لا توجد للمخطوطات النيجيرية فهارس مطبوعة معيّنة غير الذي قام بإعداده الأستاذ بابا يونس محمد، وهو فهرست المخطوطات بدار الوثائق القومية بكادونا أشرفت على طبعه مؤسسة الفرقان بالملكة المتحدة. ولندرة هذه الفهارس للمخطوطات النيجيرية جعل أحد الباحثين على مظنة عدم وجودها قطّ على حد قوله:

لم أطلع على فهارس المخطوطات النيجيرية على شكل كتاب مطبوع غير ما أخرجته دار جامعة الخرطوم - حسب علمي والله أعلم -، والكتاب مشروع بحث لتاريخ شمال نيجيريا وكانت الطبعة الأولى عام ١٩٨٤م.

لكن الأهم هو أن جميع أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعات نيجيريا تملك المخطوطات العربية، وقد قام كل قسم بفهرسة ما في حوزته من المخطوطات، ووضع للفهرس ما يناسبه من العناوين، من ذلك مثلاً ما وقع تحت أيدينا عند القيام بهذا البحث، قائمة المخطوطات العربية في جامعة بايرو، وهي عبارة عن الفهرسة، وسميت: تقارير عن سلسلة مخطوطات عربية، لمشروع بحث في

تاريخ شمال نيجيريا إصدارات الأعوام، ١٩٧٥، ١٩٧٧، ١٩٨١م
(عبد الرحمن أحمد: ٦: ٢٠١٠).

وعلى هذا الأساس أثار الأستاذ الدكتور بالوغن انتباه الجميع على أن يهتموا بإعداد فهرست مخطوطات آل برنو وآل فودي (عبد الرحمن أحمد: ٦: ٢٠١٠) وغيرها من المخطوطات التي تكتظ بها المكتبات النيجيرية.

ولقد وضع المتخصصون ضوابط معينة في فن الفهرسة وهي تتمثل في مجموعة تلك المعلومات اللازمة التي يجب أن يحتويها الفهرست كالوصف الدقيق للمادة والوصف الدقيق للمضمون ونلخص ذلك فيما يلي:

الوصف الدقيق لشكل المخطوط، ويشمل:

- أ- المادة المستخدمة في كتابة المخطوط، هل هي ورق، أو رق، أو بردي، أو ميكرو فيلم؟
- ب- الخط المكتوب به المخطوط ونوعه، ولون المداد المستخدم، والزخرفة الأصلية أو المضافة
- ج- عدد أوراق المخطوط، والأسطر، وحجم الصفحات، وعدد اللوحات إن كان فيلما
- د- بيان نوع التجليد، إن كان عاديا أو مذهبا أو مزخرفا.
- هـ- وصف العطب الموجود في المخطوط، كنقص، أو محو، أو رطوبة، أو غير ذلك^{٣٥}.

الوصف الدقيق لمضمون المخطوط، ويشمل:

- أ- اسم المخطوط كما هو مثبت على الغلاف، ويجوز التعديل لأسباب تاريخية أو لوجود الاسم الصحيح في عدد من الكتب غير المثبت في هذا المخطوط كما فعل محقق (البيان والبيان أو التبين) للجاحظ.
- ب- ذكر اسم الناسخ، وتاريخ النسخ، ومكانه، وهل النسخة للمؤلف أو لناسخ آخر.
- ج- ذكر موجز من المقدمة والخاتمة للمخطوط، وأنواع السماعات إن وجدت.
- د- ذكر أماكن وجود المخطوط في العالم، مع رقم قيده في كل مكان إن أمكن.

د- ذكر التعليقات، أو الهوامش إن وجدت، وهل هذه التعليقات أو الهوامش من المؤلف أو من ناسخ آخر؟

و- ويذكر في الختام: علامات التملك، وتواريخها، وأسماء المالكين، ثم يذكر المصادر التي اعتمد عليها في إثبات اسم المخطوط ونسبته إلى صاحبه (عبدالرحمن أحمد: ٧: ٢٠١٠). هذا بخلاف الفهرسة المكتبية التي تعد على بطاقات صغيرة تفيد القراء حيثية كل مخطوطة على حدة حتى يمكن الوصول إليها. غير أن في هذا عصر العولمة تغيرت الأوضاع فصار الحاسوب دليل المكتبة لا البطاقات في الصناديق (عبدالرحمن أحمد: ٧: ٢٠١٠).

٣- الصيانة وفق خبرة المتخصصين Conservationists

مما لا يدع مجالاً لأدنى الشك، أن هناك خبرات مكثفة يتمتع بها المتخصصون Conservationists من الذين تحتجز بهم مكنتات المخطوطات الحكومية. ولقد استفدنا طفيفاً من هذه الخبرات التي تضمن للمخطوطات البقاء الشكلي والمضموني، ونستحضرها -إن شاء الله- في هذه السطور التالية.

- إزالة الأوساخ التي تتراكم على المخطوطات باستخدام المكينة الهوائية الكهربائية، أو عن طريق استخدام المنظف الذي في إمكاننا أن نظف بعد تعرّضه للأوساخ، أو عن طريق استخدام الفرجون الناعم لتزيل الأوساخ أو الأدران بسهولة.
- التأكد على نظافة اليد قبل تناولها بالمس أو تغطيتها بالقفاز Glove عند المساس.
- الاجتناب عن تناول الأطعمة والأشربة في حيثيات هذه المخطوطات.
- تواصل الزيارة الفاحصة لتفقد أوضاع وأحوال المخطوطات.
- محاربة درجة الحرارة الزائدة التي تتسلل إلى الداخل عبر السقوف المثقوبة أو غير مثقوبة، وتحصل هذه المحاربة عن طريقتين:

أ- بتلوين هذه السقوف بالخصاص Chalk

ب- استخدام الزجاجات التي تقلل انعكاس ضوء الشمس الذي يقضي بالمخطوطة إلى

الشحوب Discoloration

- ج- توافر الهواء التي بها تنعدم الحرارة.
- د- الفرجة المتزايدة التي تسمح دخول الهواء الطلقة.
- محاربة انعكاس ضوء الشمس إلى الداخل من قبل الشبابيك وهي عن طريق أمرين:
- أ- جعل الستار على الشبابيك ليمنع انعكاس ضوء الشمس إلى الداخل بالكثير.
- ب- إعداد دهاليز فارغة تظلل وتعجز انعكاس الضوء (9: Bodam).
- هذه كلها هي تلك الخبرات التي أفاد بها طول تجارب المتخصصين في صيانة المخطوطات، وهي تفيدها خيرا بسلامة أعضائها وبقاء رسوماتها، قبل أن تعرف الصيانة على أساليب أخرى اكتشفها التطور العلمي والتكنولوجي الحديث.

٤- الصيانة بأساليب التقنية الحديثة

هذه الأساليب كانت نتيجة من بضاعة مزجاة ساقها إلينا التطور التكنولوجي في عصر العولمة، وهي تستخدم في حد ذاتها للحفاظ وصيانة المخطوطات. وترجع باكورة استخدامها لأهمية الصيانة في أول مبادرات صدرت بألمانيا بإنشاء مشروع مخطوطي هائل لتحويل فهارسها المطبوعة إلى الأشكال الديجتالية عبر شبكة الانترنت لتكون هذه المواد في متناول العالم أجمع ضمن خزانة حاسوبية للمعلومات (حامد ثاني: ١١-١٢: ٢٠٠٩) Database وكللت هذه الجهود بأبهر النجاح بضمانة الصيانة والبقاء حسب ما كشف عنه تقرير صادر من الأستاذين (برنكمان و ويسمولر) ما نصه (حامد ثاني: ١٢: ٢٠٠٩):

"In fact complete digitization and indeed database catalogues not only allow for studying specific manuscripts or copies of specific work on line, it becomes a desideratum when fragment of a formerly complete manuscripts are spread over several location"

وفي الخلاصة نفهم من هذا التقرير السابق أن نسخ الفهارس في الحاسوب والديجتال لم يكن لدراسة مخطوطات معينة أو لدراسة أعمال معينة على الانترنت وإنما يسهل الإحاطة بتلك الأعمال المخطوطية المبعثرة في أماكن شتى. فهو يكون كلائحة موضحة تقرأ عليها هذه الأعمال في مختلف أصقاع العالم.

ولم تكن هذه المبادرة يتمية الدهر في أنواعها بل قامت على شاكلتها المملكة المتحدة الأروبية بتدشين موقع دائم على الانترنت وأنشأت خزانة حاسوبية للمخطوطات الإسلامية الطي (حامد ثاني: ٢٠٠٩: ١٢). وتفضل الأستاذ يوسف زيدان المصري (حامد ثاني: ٢٠٠٩: ١٢) مدير المتحف ومركز المخطوطات بالاسكندرية بإنشاء موقعه الخاص على الانترنت www.zeidan.com

وهكذا توالى الجهود من مختلف الهيئات والجمعيات الغربية والشرقية بتأييد هذه الوجهة الديجتالية والنسج على منوالها في الحفاظ على التراث وصيانة المخطوطات، كان من بين هذه الهيئات (حامد ثاني: ٢٠٠٩: ١٢) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (UNESCO) في إطار برنامج الذاكرة العالمية (World Memory programme) وحولت جامعة بروستين الأمريكية فهارسها الثلاثة المطبوعة إلى الشكل الديجتالي (حامد ثاني: ١٢-٢٠٠٩: ١٣). كما كوّنت خزانة (حامد ثاني: ١٢-٢٠٠٩: ١٣) حاسوبية لمشروع المخطوطات بغرب أفريقيا ترمي إلى تحويل التراث المخطوطي إلى الأرقام في ضمن مشاريع أخرى تهدف إلى حماية المخطوطات وتعميم الاستفادة بها. (www.westafricamanuscripts.org/index.html)

وبهذه الظاهرة يتقوى إيماننا بضمان المستقبل الباهر في حفاظ هذا التراث إلا أننا في هذه المنطقة (نيجيريا) لما نكشف عن ساعد الجدّ بالترسم هذه الخطة المثالية في صيانة المخطوطات، أللهم إلا تلك اللمحات الطفيفة التي تصدر من بعض مراكز المخطوطات، بنيجيريا تأخذ أشكال هذه المناهج في صيانة المخطوطات، وأصدق شاهد على ذلك أن الباحث طوب-أيام تواجده بالمتحف الوطني بجوس- بنسخ مخطوطاته عن طريق التصوير بالأشعة على الشخص الإلكتروني Scanner في الحاسوب ثم القيام بحملها في القرص؛ ولكن هذه المحاولة لم تنل في نقطتها البدائية حتى حوّل الباحث إلى الورن (مقدم: ١١: ٢٠١٠). وتأخذ الصيانة عبر أساليب التقنية الحديثة أشكالاً وألواناً متنوعة منها ما يلي:

الديجيتاليزا Digitization

هي التكنولوجيا الحديثة التي تؤمن الدوام وسهل التداول والاستعمال والمراجعة دون حدود مكانية أو زمنية. أو هي تحويل المخطوطات والفهارس إلى أشكال رقمية. وهي تعتبر آلية تبني جسورا بين الشعوب والأفراد وتدفع عجلة التطور في البحث إلى الأمام (حامد ثاني: ٢٠٠٩: ١٢).

ولقد دارت رحى الحوار في المؤتمر الدولي الذي انعقد بأريزونا هوس بكادونا Arewa House, Kaduna على النظر في كل الإمكانيات لتحويل المخطوطات العربية والعجمية النيجيرية إلى الشكل الأرقامي، وقد تم تشكيل لجنة معينة لهذه الأهمية وبتأسيسها الأستاذ حامد ثاني المحاضر بجامعة لاغوس (حامد ثاني: ٢٠٠٩: ١٢).

حمل المخطوطات على الحاسوب

تسخ المخطوطات على الحاسوب عن واسطة الشخص الإلكتروني Scanner فيكون لها وعاء سهل الرجوع إليها في أي وقت ممكن، ويمكن للمستفيد استساخها إلى الأقراص المضغوطة حسب حجم البرامج المراد نقلها، فيستخدم القرص المدمج DVD وذلك إذا كان ثقلها أكبر من سعة (٧٠٠) ميغابايت Megabytes وإذا كانت أقل من ذلك (سراج الدين أديايو: ٢٠١٠: ١٢) يستخدم القرص السمعي CD-R أو إلى فلاش USB أو إلى MP 3-4 كما يكون في استطاعة المستفيد طبعها بحيث تكون مطابقة للأصل مضمونا وشكلا؛ وتكون الفارقة الوحيدة بينهما تقادم عهد الأصل (عبدالرحمن أحمد: ٢٠١٠: ١٤).

افتتاح المواقع على شبكة الانترنت

تصان المخطوطات بالتتاح مواقع خاصة بها على الشبكة العنكبوتية Internet التي تكون حاضرة لها بصورها الفوتوغرافية، ويسهل من خلالها التعرف على أماكن المخطوطات المختلفة، ويحصل بها الاتصال العالمي بالتبادل المخطوطي، تتوسع به الرقعة العلمية بالاطلاع على خفاياها وخباياها؛ وإلى دقة هذا المعنى يشير بيان أحد الباحثين:

لا شك أن للنشر الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية العالمية مزايا خارقة تجعله من أنسب الوسائل لإيصال المخطوطات العربية الأفريقية الغربية إلى ملايين الباحثين الدارسين في بقاع العالم بأسره من المحلية إلى العالمية. يتم تحميل المخطوطات العربية المسجلة في الأقراص المدمجة بإدخالها على الكمبيوتر التي قد تمت اتصالها بالشبكة العنكبوتية العالمية، وبمساعدة المتخصصين في عملية الفتح شبكة الانترنت website ويمكن توصيل البرامج أي المخطوطات العربية المصورة والتي تم تسجيلها في الأقراص المدمجة على موقع. وعلى سبيل المثال يمكن أن يسمى الموقع www.afroarabicmanuscriptsonline أو www.afroarabicmanuscripts.net كما كان الشأن في al-islamonline.com وغيره من المواقع الدعوية في الانترنت. وإذا تم الفتح الموقع كما سبق الذكر يمكن توصيل البرامج في الموقع تم تسجيلها فيه (سراج الدين أديبايو: ١٣: ٢٠١٠).

استعمال الرفائق البلاستيكية Lamination

تستخدم الرفائق البلاستيكية الشفافة Lamination إذا كانت المخطوطة من ذوات الصفحات المحدودة والجرائد والوثائق (عبدالرحمن أحمد: ١٤: ٢٠١٠). وهذه كلها هي تلك الأساليب التي تستخدم في قديم العهد وحديثه لصيانة المخطوطات، وهي مجموعها لعبت أدوارا ملموسة تشهدنا هذه الأيام الحاضرة ببقاء ذلك التراث القيم الهائل الذي نعيشه اليوم سليما في الأركان وصحيحا في الأبدان، لا يمس بيد الضياع والهلاك ولا تعرف إليها السبيل الحشرات المبيدة.

الغائمة

حاولت هذه الورقة بجولتها الخفيفة عن الأساليب التقليدية القديمة وأساليب التقنية الحديثة التي تستخدم في صيانة المخطوطة عما قد تصاب به من نكبات جسيمة أودت بقسم كبير من المخطوطات من حرق، وضياع، وإهمال؛ وهذه الأساليب في حداثها لا يقل شأنها عن الأخرى إلا أن الحديثة أكبر ضمانا وحفاظا حسب ما تعرف عليه عصر العولمة من خلال مكتشفات هائلة حديثة في صيانة المخطوطات.

ومن هنا نقترح وندعو المسؤولين - بأعلى الصوت - إلى الاهتمام بهذا التراث بإنشاء المعاهد وتخصيص الأموال الطائلة لأهميتها ومساعدة الباحثين المتخصصين للعمل على بعث هذا التراث وإحيائه قبل أن يمتلكه يد الضياع؛ فهو بحاجة إلى اليد العاملة الحريصة والجهة المسؤولة الفعّية تنفق عليه وتساهم في بعثه إلى النور، وذلك واجب الدول العربية والإسلامية على السواء.

ثبت المراجع

- عبدالرشيد محمود مقدم: أساليب التقنية الحديثة في صيانة المخطوطات. ورقة أقيمت في الجلسة التوعوية عن المخطوطات الإلورية نظمها مكتب الآثار الإلورية بالتعاون مع هيئة الأدب الإسلامي نيجيريا بقاعة المحاضرة بجامعة الحكمة إلورن ٢٠١٠م.
- عبدالرشيد محمود مقدم: وضع المخطوطات العربية في بعض المكتبات النيجيرية. مقالة قدمت في المؤتمر الدولي حول المخطوطات العربية في غرب أفريقيا: صيانتها ونشرها، أقيم بقسم اللغة العربية بجامعة عثمان بن فودي، صكتو ٢٠١٠م.
- جائزة القذافي الدولية لحقوق الإنسان: إصدار خاص بمناسبة منح الجائزة للعام ٢٠٠٧م إلى معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية لإنشاء مركز في تمبكتو لصيانة المخطوطات وحفظها.
- عبد الرحمن أحمد الإمام (الدكتور): المخطوطات العربية في العصر الحديث ودوره في النهضة بالعلوم العربية. مقالة قدمها في المؤتمر الدولي بجامعة عثمان بن فودي صكتو ٢٠١٠م. —
- إبراهيم يوسف دياه: طرق جمع مخطوطات لغة الضاد ووسائل حمايتها. مقالة أقيمت في المؤتمر الدولي بجامعة عثمان بن فودي، صكتو ٢٠١٠م.
- صلاح الدين المنجد (الدكتور): قواعد تحقيق المخطوطات. ط٤، دار الكتاب الجديد، بيروت-لبنان، ١٩٧٠م.
- مذكور (الدكتور): كتاب الشفا (المنطق). القاهرة، ١٩٥٣م.
- عبد الملك أبوبكر (الدكتور): الشيخ محمد طن إغني وإسهامه في نشر المخطوطات العربية النيجيرية. مقالة قدمها في المؤتمر الدولي بجامعة عثمان بن فودي، صكتو ٢٠١٠م.
- صالح حسين: كتاب الحصن الرصين في علم التصريف لعلامة السودان الأستاذ عبدالله بن فودي. ط١، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٩٨٤م؛ وهي عبارة عن رسالة لنيل درجة الماجستير بقسم اللغة العربية كلية الآداب بجامعة عبدالله بايرو، كنو ١٩٨٢م.

- أغاكا، عبد الباقي شبيب (الأستاذ الدكتور): كلمة الندوة العالمية عن المخطوطات العربية في نيجيريا: صيانتها ونشرها؛ ألقاها في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الدولي بجامعة عثمان بن فودي، صكتو، ٢٠١٠م.

- سراج الدين أديبايو آدم: المخطوطات العربية الإسلامية النيجيرية: الرؤى والآفاق. مقالة ألقيت في المؤتمر الدولي الذي أقيم بقسم اللغة العربية بجامعة عثمان بن فودي صكتو. ٢٠١٠م

- Bodam, Rosemary N.S: The Present state of Arabic Manuscripts in the Jos Museums. Being a Paper presented at the National Conference organised by Arewa House, A.B.U, And Ford Foundation office for West Africa 7th-8th May 2009.